

شهادات عن الحرب

اعداد: سلوى الحمد

ذات فجر، أفاق بيروت على أصوات القذائف المنهالة عليها من البر والبحر والجو. خرج سكان الطوابق العليا للبيات من منازلهم الى الملاجئ بحثاً عن أماكن آمنة. وهم في قرارة أنفسهم يعلمون، وبالتجربة الحية، أن أقبية الأبنية أو طوابقها الأرضية المعتبرة ملاجئ، لا توفر لهم من الأمان إلا الاحساس بأحتماله. فلقد حوّلت طائرات الغزو الاسرائيلي عشرات البنايات، أمام أعين الاطفال الى ركام؛ فذب الرعب في نفوس الصغار والكبار. وفي قلوب ساكني الطوابق العليا والسفل على حد سواء. لكن يبدو أن المثل القائل «الموت مع الناس رحمة» صحيح؛ فقد لجأ الكثيرون الى التجمع مع بعضهم البعض، ينصتون الى نبضات القلوب الجماعية، التي كانت تشعرهم بشيء من الحياة والأمان وتمدهم بشحنات من القوة يواصلون بزخم منها يومهم المشحون بالجراح وبسنى الانفعالات.

مضت الساعات الأولى من الفجر المذوي، وأطل الصباح حاملاً معه اعتذار الصيف عن نقص قسري في المياه ونفاد الطحين من المخازن الصغيرة التي كان لها، وحدها، شرف مشاركة الناس العاديين الأهم والحصار. لكن العيون التي حرمت لذة النوم لعشرات الليالي لم تستسلم للواقع المفروض عليها؛ فخرجت من رطوبة الملاجئ لملاقاة الحياة في طلعة الشمس، أو ربما في اشراق الرغيف، الذي خلت منه الأفران؛ المنزل الذي تهدم؛ الملجأ؛ الشارع؛ الفرن؛ صهريج المياه المنقلب؛ الرغيف الذي اتخذ استدارة البدر؛ المقاتل الذي ارتدى سترة التفاوض والعزيمة؛ الأم التي أرضعت طفلها حليب الصبر والصلابة؛ الأب الذي يبحث في أشلاء جثة ابنه عن وجنته ليطبع عليها القبلة الأخيرة.. هذه هي الصورة اليومية لبيروت تحت رحمة آلة الحرب الصهيونية وفي ظل حصارها المحكم.